المجلد07/ العدد01/ 2021. ص 289- 302

الأدب التفاعلي وتحولات النظرية الأدبية المعاصرة

الدكتور سليم حيولة
جامعة المدية

تمهيد:

يشهد العصر الحالي تحولات كبرى في مجال الفكر والثقافة والإبداع باعتباره عصرا يحمل طابعا خاصا بالنظر للتطورات الكبيرة في مجالات علمية وتكنولوجية ووسائل التعبير المستحدثة وكذلك ظهور ميادين جديدة للإبداع لم يكن للإنسان عهد بها من قبل، وفي إطار هذا السياق العام يندرج بحثنا الذي يحاول فهم إحدى تلك التحولات التي طرأت على ميادين الكتابة الأدبية وما يتعلق بها، وهي تلك الخاصة بالمجال الرقمي بكل ما أوجده من مفاهيم مثل "الأدب الرقمي" و"الأدب التفاعلي" أو "الكتاب الإلكتروني" وما يرتبط به من وسائل جديدة من مثل "الوسائط التفاعلية" و"شبكات التواصل الاجتماعي" و"المواقع الإلكترونية وروابطها"، والتي سمحت بظهور أشكال جديدة من الكتابة مكّنت من اتّصال فعلي وآني بين الكاتب (الروائي والشاعر) والقارئ، الذي أصبح تفاعله آنيا وسريعا وموجّها كذلك للأعمال الإبداعية من حيث مضامينها وأشكالها وأساليبها، وأيضا تعابيرها اللغوية ومفاهيمها الفكرية، ولذلك فإن طرق الإبداع الأدبي وشكله وطبيعته قد تأثّرت بمنجزات الحضارة المعاصرة، حيث إنّ «**ما يحدث في هذا العصر التكنولوجي هو خير دليل على إمكانية إفادة الأدب من مختلف فروع العلوم والمعارف خارج حقله المعرفي، وذلك بإفادته من معطيات التكنولوجيا الحديثة والثورة المعلوماتية التي يشهدها العالم منذ منتصف القرن الماضي، والتي تمثلت في أوضح صورها بظهور شبكة الإنترنت**»[1]. فقد اتَّسعت مجالات الإبداع وانفتحت طرقه نتيجة تلك التغيرات الكبيرة التي مسَّت الحياة المعاصرة في جانبها التكنولوجي والمعلوماتي ما انعكس على الحياة الثقافية وعلى

[1] – فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب. الطبعة الأولى 2006 ، تمهيد ص 13

الأدب خصوصا وجعل الكتاب يجازفون بخوض تجارب جديدة لم تكن موجودة من قبل، وهي تجارب قرّبتهم أكثر من القارئ وجعلتهم في حوار مباشر معه ومشاركة فعلية، من أجل إثراء تجاربهم الإبداعية .

ومن الواضح أن هذه المجالات الجديدة والإمكانيات المتاحة قد أثّرت بطرق مختلفة على الإبداع ووجهته وجهة جديدة غير مألوفة، ومنه فإنّ «**هذه المرحلة (الإلكترونية) في حياة النص الأدبي تُمثل انتقالا من عهد إلى عهد وتُشبه الانتقال من حضارة المشافهة إلى حضارة الكتابة. وقد شهد القرن العشرون انتقال آداب الإنسانية من حضارة الورق إلى حضارة التكنولوجيا والالكترونيات التي أخذت تتغلغل في مختلف جوانب الحياة دون حد أو قيد، ولا بد أن تكون مثل هذه الطفرة ذات أثر بالغ، ليس فقط على نوع النصوص المقدمة (ورقية أو إلكترونية)، إنما على طبيعتها، ونوعية الأفكار التي تطرحها ومدى تواؤمها مع معطيات العصر، والتغيرات التي تطرأ عليه خلال فترات زمنية قصيرة ومتقاربة زمنيا، بحيث لا تترك مجالا لاستيعاب ماقبلها إلا فاجأتنا بمستجدات قد تكون أكثر تنوعا وتعقيدا**»[2]. ولذلك فإن ما يهم الباحث في هذا المجال هو مختلف التغيرات التي طرأت على الإبداع والكتابة الأدبية من حيث لشكلها وأفكارها، ما يستلزم تحديد كل تلك التغيرات والتحولات التي طبعت الإبداع بميزات معينة، قربته أكثر من الحياة المشتركة بين البشر، وهي حياة يومية قائمة على التفاعل الآني والسريع، حيث إن الأدب كتابة تستهدف من يقرأها ولم تكتب لتبقى على رفوف المكتبات، وهو ما يعني أن العصر الحديث قد تحقق فيه هذا التقارب، ومنه فقد «**يكون السر في ذلك كون الأدب لصيقا باليومي، غير منفصل عنه، فهو يتأثر به ويعبّر عنه**»[3]. فالأدب كتابة تستدعي تفاعل القراء معها وقد عملت التكنولوجيا على تحقق ذلك في وقتنا الحالي بطريقة لم يسبق لها مثيل.

[2]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 19

[3]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي،، تمهيد، ص 13

وقد فرض هذا السياق الجديد على النقاد والمتابعين أن يكيفوا تناولهم للأدب بالنظر لما استجد في علاقة الكاتب بالنص وبالقارئ وهو ما حتّم علينا إعادة تعريف هذه المفاهيم وتحديدها من جديد، غير أن الشيء الذي تجب ملاحظته هو أن هناك قلة في المراجع العربية أو المترجمة التي تعالج أو عالجت موضوع الأدب التفاعلي وهو أمر يرجع لحداثة هذا الموضوع وقلة الإلمام به من قبل المهتمين بالنظر لأنه يفرض متابعة يومية لكل ما يكتب على شبكة الإنترنت، وهي عملية ليست بالسهلة بل تحتاج لصبر طويل ولكفاءة ودراية بكل ما يتعلق بالموضوع، واطلاع متواصل حتى يتمكنوا من الإلمام بكل ما يدور في هذا المجال.

أما من جهة التأصيل المعرفي والفلسفي لهذا الشكل الأدبي الجديد فيمكن القول إنه- من حيث أبعاده ورؤاه- يُمثل إحدى منتجات فكر مابعد الحداثة بمختلف تياراتها، حيث «**يستند منظرو الآداب الرقمية على طبيعة أدبية وفلسفية لصياغة أرضية الأدب الرقمي، معتبرين كتابات"بارت"و"ديريدا" و"فوكو" و"دولوز"و"غاتاري"؛ كتابات استأنست بتعقيدات النص الشعبي دون استعماله لعدم تعرفهم على الآداب الرقمية، تلك التي تتأسس على مفاهيم المراكز والهوامش والخطية والتصنيف**»[4]. فكل النقاد الذين كتبوا عن الأدب التفاعلي يعودون إلى تنظيرات المفكّرين والنقاد الذين أسسوا لقضايا أدبية ونقدية استند إليها منظرو الأدب ونقاده من أجل التأسيس للنظرية الأدبية التقليدية التي سبقت ظهور الأدب التفاعلي ولعل التحولات التي كانت سمة الثقافة الغربية هي ما سمح ببروز هذه المجالات الجديدة، ومنه فـ «**المهتمون بهذا النص يرون نظريته تقوم على نظريات النص مابعد البنيوي التي نادى بها دريدا، وفوكو وبارت على وجه الخصوص**»[5]. فهذا المجال الجديد يعود للتحولات الفكرية والفلسفية في الغرب مابعد الحداثة ومابعد البنوية التي سمحت بظهور مثل هذه الميادين الجديدة ..

[4]- سعيد علوش، تنظير النظرية الأدبية؛ من الوضعية الى الرقمية، مطبعة البيضاوي الرباط الطبعة الأولى 2013 ، ص 348

[5]- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ؛ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصر، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2002 ، ص 270

وفي خضم كل تلك التحولات ظهرت إلى السطح إشكاليات عديدة تتعلق بالأدب والمعنى ودور القارئ، ومن بين تلك المسائل المطروحة يمكن الإشارة إلى بحثهم حول مدى تحقيق النص التفاعلي لمقولة الأثر المفتوح، وإلى أية درجة يمكن أن ينفتح النص في إطار الأدب التفاعلي ؟ وما مدى تأثير الأدب التفاعلي على عملية الفهم؟ عملية الفهم التي هي من أهم قضايا نظريات القراءة والتأويل المعاصرة. وهل القارئ في هذا الإطار يفسر العمل الأدبي ويؤوله؟ وما مدى إفادة النقد الأدبي ونظرية الأدب من منجزات العلم المعاصرة ؟ وهل تم التنظير لهذا الشكل الإبداعي الجديد ؟ وما دور هذا التفاعل في تحديد المعنى أو إثرائه؟ وما مدى تأثير هذا الشكل الجديد على الهوية العربية ؟

ولا ندعي أن هذه الدراسة ستجيب عن كل تلك الإشكاليات ولكن مجرد إثارتها تستدعي منا الانتباه لها، وتبين مدى التحول الكبير الذي يعيشه عصرنا في ميدان الكتابة الأدبية .

أولا : الأدب التفاعلي ؛ الحدود والمفاهيم ، وإعادة تعريف الأجناس الأدبية

لعلّ من السمات الهامة للتحول الذي أشرنا إليه تتمثل في أن الأدب التفاعلي أحدث نقلة في مجال نظرية الأدبية من حيث طبيعته المختلفة عن الأدب الورقي ومن حيث ما يسمى اليوم بالأجناس الأدبية الإلكترونية التي ظهرت معه والتي تُحتم على المنظر الأدبي والناقد أن يأخذاها بعين الاعتبار في كل تناول للأجناس الأدبية المعاصرة، فكل من كتابة الأدب وتلقيه تطبعه سمة خاصة في إطار التفاعل التكنولوجي المعاصر الذي أتاحته وسائل إلكترونية مستحدثة بما تمثله من فضاءات جديدة الأمر الذي سينعكس على عملية الكتابة وعمليات التلقي، وبداية كان من اللازم وضع مصطلح التفاعل والأدب التفاعلي في إطاره المفهومي والثقافي والحضاري، فهو قد ظهر لدى الغرب وانتشر في بلدانه، حيث «**إن (التفاعلية ليست مصطلحا أدبيا أو إنترنيتيا أو تكنولوجيا وحسب، ولا يجب أن تؤخذ دلالة اللفظة على هذا الوجه فقط، بل يجب أن نتعامل معها على أنها نمط حياة ووسيلة للتعامل مع الأمور المختلفة التي تمر على الفرد بصورة يومية، فمن كان شأنه التفاعل مع كل تفاصيل حياته لابد له أن**

يتفاعل على نحو لا إرادي مع ما يقدم له من نصوص أدبية أو غيرها، ورقية كانت أو إلكترونية، ومن شأنه تطوير أسلوب تفاعله مع هذه الأمور»[6]. فالأدب أصبح مجالا للتفاعل بين الكتاب والقراء بطريقة لم يسبق لها مثيل ليس في الغرب فحسب، وإنما في كل بلدان العالم، بل إنها أصبحت ظاهرة بارزة ومؤثرة لا يمكن التغافل عنها نظرا لأهميتها وتأثيراتها في الساحة الثقافية وإعادة تعريفها للكثير من القضايا الخاصة بالأدب.

وفي هذا الإطار لم يعد القارئ بعيدا عن الأدب ولم يعد ينتظر الأديبَ حتى ينشر كتاباته ورقيا ثم يقوم بقراءتها وإبداء الرأي حوله، وربما لا تسنح له فرصة لأن يبدي رأيه فيها إلا بعد مرور وقت قد يطول، وقد ينتظر مناسبات لقائه مع المؤلف والتي قد تطول أيضا، ثم إنه قد يتفاعل برأي نقدي من خلال بحوث قد تُكتب لاحقا، وأكثرها لا يصل إلى المؤلف ولذلك فإنّ «**هذه الإفادة قد أثّرت على عملية تلقي الأدب، وعلى عناصر العملية الإبداعية، مما يجعل بحث علاقة الأديب بالتكنولوجيا والثورة المعلوماتية أمرا يستحق التوقف عنده وقفة مطولة للإلمام بحيثيات هذه العلاقة من جميع جوانبها، ومحاولة تبين الأوجه الإيجابية والسلبية لها، خصوصا بعد أن أثمرت هذه العلاقة نوعا جديدا من النصوص يجمع بين فنية الأدب وعلمية التكنولوجيا، هو ما اصطلح على تسميته في الأوساط الأدبية والثقافية الغربية** interactive literature »[7]. فما فعلته التكنولوجيا يُعتبر ثورة في مجال الكتابة الأدبية بدأت نتائجه تظهر وسمحت ببروز التفاعل الحقيقي مع القارئ .

ومن الضروري في إطار هذا التحول الجديد أن تظهر مفاهيم جديدة ومصطلحات مُستحدثة وهو ما حصل بالفعل حيث ظهرت مفاهيم لم يكن لنظرية الأدب عهد بها، وأهم تلك المصطلحات التي أخذت مكانها في الساحة

[6]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 66

[7]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، تمهيد، ص 14

النقدية نجد مصطلح hypertext* وقد ترجمه عدد من الباحثين العرب ترجمات مختلفة منها "النص المتفرع" و"النص المتعالق" وغيرها من المقابلات، كما نجد مصطلحات أخرى من مثل cybertext ومقابله "النص الشبكي"، وهو ذو طبيعة خاصة، حيث إنّ «**الطبيعة الأدبية تغادر الصفحة المطبوعة وتقاليد غوتنبرغ، لإدماج عملها في.صفحة إلكترونية تشي بطريقة جديدة، لا تتورع عن التبشير بـ"نص مترابط "و "نص فائق "و" نص شبكي"و"نص تفاعلي"و" نص مفتوح " وكلها ترجمات عابرة للعربية من منظور اجتهادات الفاعلين والمتفاعلين بالأدب الرقمي مشرقا ومغربا**»[8]. غير أن المصطلح الأول يبقى المصطلح الذي حصل عليه اتفاق إلى حد ما ويظهر أنه الرائج في عدد من الكتابات المهتمة مع اختلاف في مقابلاته العربية.

ووجب أولا تحديد مفهوم هذا المصطلح الذي بدأ يأخذ مكانته في هذا المجال حيث قد «**شاع هذا المصطلح حديثا بسبب تطور الحاسب الآلي والنصوص الإلكترونية، ووصل تأثيره إلى حقول تمتد من الأحلام ونظرية العماء إلى أدلة إصلاح الطائرات مرورا بكافة الحقول الإنسانية وغير الإنسانية...ويجمع المعنيون بهذا المصطلح على أن رائد الحاسب الآلي، "ثيودور هولم بيلسون" هو الذي استخدمه أول مرة في منتصف ستينيات القرن الماضي**

---

* - أما في الثقافة العربية فيمكن القول وكما تذكر الباحثة فاطمة البريكي أنّ « **النص المتفرع هو أحد الاقتراحات التي قدمت لترجمة المصطلح الأجنبي hypertext إلى اللغة العربية ومقترح هذه الترجمة هو حسام الخطيب في كتابه(الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع) الذي يعالج فيه هذا النص بوصفه وجها من وجوه الثورة التكنولوجية الحديثة على نحو ما، دارسا علاقته بالنظرية الأدبية والنقدية رابطا بينه وبين آلية الحواشي والشُّروحات في الثقافة العربية التراثية...وعلل اختياره هذا بأنه اشتق صفة (المتفرع) من مصطلح (فرع) الدارج في فن الشروح والحواشي عند العرب، وهو يرى أنه الأقرب إلى المعنى العضوي للمصطلح الأجنبي وآليته... نبيل علي ترجمه النص الفائق أما سعيد يقطين فوضع له النص المترابط كمرادف له**» ينظر ؛ فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي ص 21 و 22. أما المصطلح الآخر cybertext فـ«**قد تطور عن هذا المفهوم والمصطلح المعبر عنه مفهوم آخر، بمصطلح آخر مختلف عنه ومعبر عن مرحلة أكثر تقدما منه، هو مفهوم (النص الشبكي - cybertext ...كان إبسن آرسيث Epsen Aarseth اول من طرح هذا المصطلح ، وقد قصد به (النص المتاهة) ، وهو نوع من النصوص الصعبة التناول على القارئ المستعجل، يستدعي قراءة تفاعلية ومشاركة فعالة من قبل المتلقي / المستخدم** »يُنظر؛ فاطمة البريكي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 29

[8] - سعيد علوش، تنظير النظرية الأدبية؛ من الوضعية الى الرقمية، ص 337

(1965) ليعني به، كما يقول" كتابة غير تتابعية-نصا يتشعب ويعطي القارئ خيارا، وخير مكان لقراءته هو شاشة تفاعلية»[9]. فمصطلح hypertext مصطلح ظهر في الغرب نتيجة طغيان التكنولوجيا واستُعمل في مجالات عديدة قبل أن يدخل مجال الأدب وهو يعني –كما رأينا- الكتابة غير التتابعية التي تمنح القارئ فرصة التفاعل معه، وإقامة حوار مع مؤلفه وكذلك المشاركة في كتابة فصوله وتحديد معانيه، وتوجيه قراءاته، أما فيما يتعلق بهذا النص فيمكن تلخيصها في أنه نص غير مألوف من حيث طبيعته وهذا راجع إلى العلاقة بينه وبين القارئ والتي تُحدد في النهاية كل ما يتعلق به سواء أكان الشكل النهائي له أم معناه، وبالرغم من شيوع هذا الشكل الإبداعي الجديد في الغرب إلا ما يزال غير معروف بشكل كبير في الثقافة العربية.

1- الرواية التفاعلية : نحو تجنيس جديد

من بين الأجناس الأدبية التي أوجدها العالم الافتراضي نجد "الرواية التفاعلية" وهي التي تسمح للقراء بالتفاعل إيجابيا معها حيث يساهمون في إكمال إنجازها باعتبارها نصا غير منجز يتسم بالتشظي والانفتاح، وقد ظهر هذا المصطلح من بين مصطلحات أخرى من بينها "القصيدة التفاعلية"، حيث إنها المقابل للمصطلحات الإنكليزية **interactive novel** و **hyperfiction** وهي المرتبطة بالشبكة العنكبوتية كإحدى المجالات الجديدة التي سمحت باقتراب القارئ المتفاعل من النص الأدبي أكثر من أي وقت مضى بالاعتماد على تقنيات مستحدثة*، ومن أجل تحديد المصطلح وتعريفه وإدراك طبيعة الرواية التفاعلية يمكن القول إنه « **في الرواية التفاعلية لا يلتزم المبدع بنمط محدد، أو على الأقل، لا يلتزم بالنمط الخطي الأكثر مناسبة للرواية التقليدية، بل كثيرا ما يتجاوزه أو**

[9]- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي،ص 269/268

*- توجد تقنيات مرتبطة بالكتابة الروائية الإلكترونية وهي تقنيات استحدثها التقدم التكنولوجي، حيث «**يستخدم الروائي المتصدي لتأليف (رواية تفاعلية) برنامجا خاصا يسمى المسرد storyspace ليبني أحداث روايته عليه**» يُنظر؛ فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 113. وهي تقنية تقوم على تسهيل عملية الكتابة حتى تصبح في متناول القارئ وتمكنه من المساهمة في إنجاز ما يراه مناسبا .

يكسره ويفتح الرواية على آفاق مختلفة، بمثابة مسارات متعددة، يمنح من خلالها المتلقي/المستخدم حرية اختيار المسار الأكثر جاذبية له، أو الذي سيحقق له قدرا أكبر من التفاعل. وهذا يعني أن التركيب القصصي في(الرواية التفاعلية) لا يحد بالصفحة المطبوعة، المفروضة على الروايات التقليدية، والذي يلتزم فيه بصيغة منظمة من القراءة تتقدم للأمام دائما، ما لم يختر القارئ تجاوز بعض الصفحات أو فصل كامل من الفصول»[10]. فالرواية التفاعلية وتقنيات الكتابة الإلكترونية التي تمنحها للقارئ تسمح له من أن يشارك بشكل كامل وبما يراه مناسبا في إنجاز النص الذي يبدأ المؤلف الأصلي في كتابته أولا ثم يواصل القارئ أو القراء كتابته .

غير أن هذه الأشكال الجديدة التي فرضها التقدم التكنولوجي تبقى ذات طبيعة خاصة بالرغم من أنها تعتمد بشكل دقيق على الأشكال والأنواع الأدبية القديمة، حيث إنه «**ورغم صعوبة تنميط الأنواع المشكلة للأدب الرقمي – الجامعة لتقليد قديم وتقاليد جديدة – فإن العودة إلى تاريخية تكوّن الأنواع والأشكال والخصوصيات يسمح بتكوين نظرة عن...الأدب الرقمي ومنظريه الذين لم يعلنوا عن قطيعة نهائية مع مقاربات النظريات الأدبية التقليدية**»[11]. وهو ما يسمح لنا بان نقول بان الأدب التفاعلي لم يحدث قطيعة تامة مع الأجناس الأدبية التقليدية والتراثية وإنما أحدث نقلة في طبيعة النص وشروطه وخصوصياته فحسب.

2-طبيعة الأدب التفاعلي وخصوصياته :

في إطار بحثها حول هذا الموضوع كان لزاما علينا أيضا –بعد تحديد مفهوم الأدب التفاعلي والنص المتفرع أو المتعالق – أن نحاول إدراك ماهية هذا النص وطبيعته وهو أمر له أهمية كبيرة تمكننا من الاقتراب من فهمه فهما

[10]- فاطمة البريكي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 114

[11]- سعيد علوش، تنظير النظرية الأدبية؛ من الوضعية الى الرقمية، ص 345

جيدا وتسمح لنا بالتعرف على طريقة الكتابة وعملية التفاعل معه من قبل القراء والمتلقين، حيث نجد أنه- وبحسب فاطمة البريكي- يتميز بمجموعة من السمات يمكن تلخيصها في أن الأدب التفاعلي على العموم يطرح « **نصا مفتوحا، نصا بلا حدود، إذ يمكن أن ينشئ المبدع، أيا كان نوع إبداعه، نصا، ويلقي به في أحد المواقع على الشبكة، ويترك للقراء والمستخدمين حرية إكمال النص كما يشاؤون...لا يعترف بالمبدع الوحيد للنص، وهذا مترتب على جعله جميع المتلقين والمستخدمين للنص التفاعلي مشاركين فيه ، ومالكين لحق الإضافة والتعديل في النص الأصلي...البدايات غير محددة في بعض نصوص (الأدب التفاعلي)، إذ يمكن للمتلقي أن يختار نقطة البدء التي يرغب بأن يبدأ دخول عالم النص من خلالها، ويكون هذا باختيار المبدع الذي ينشئ النص أولا، إذ يبني نصه على أساس ألا تكون له بداية واحدة، والاختلاف في اختيار البدايات من متلق لآخر يجب أن يؤدي إلى اختلاف سيرورة الأحداث...النهايات غير موحدة في معظم النصوص...فتتعدد المسارات يعني تعدد الخيارات المتاحة أمام المتلقي/المستخدم...إن مثل هذه الميزة تسمح بان يخرج كل متلق/مستخدم من النص برؤية تختلف عن تلك التي سيخرج بها غيره من المتلقين / المستخدمين، وهذا يوسع أفق النص، بل يعدد آفاقه، ويفتح باب التأويل فيه على مصراعيه، بما يضمن له البقاء والاستمرارية»**[12]. ومن خلال كل ما ذُكر يمكن القول إن النص التفاعلي نص مفتوح، وبلا حدود من حيث كتاباته ومعانيه، وان مؤلف النص أو الذي يطرحه على الشبكة ليس المؤلف الوحيد للنص بل إن كل من يقرأه يمكن أن يشارك في كتابة فقراته وفصوله وأحداث قصته، وكل هذا سينعكس حتما على القراءة وانفتاح تأويل النص، وكخلاصة لكل ما ذكرنا يمكن القول إن «**هذا النص كتابة غير متتابعة، بل إنه يتفرع ويتشعب مانحا القارئ خيارا لتتبع مساراته من خلال معابر متعددة. وهو كذلك عمل غير مغلق بل نسيج مفتوح من الآثار والتداعيات غير المتجانسة التي تعيد باستمرار عملية صيرورتها وتكاملها. ولهذا**

[12]- فاطمة البريكي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص52/51/50

فإن بنية النص بنية غير ثابتة بل متحركة أبدا، دون بداية أو نهاية»[13]. فأهم ميزة للنص التفاعلي هو انفتاحه وتفرعه وتشعبه الأمر الذي يمنح القارئ خيارات كثير للمشاركة في كتابته وتوجيه أفكاره وصنع بنيته الشكلية والفنية والفكرية .

وهكذا فإنّ السمة الأساسية لهذا الأدب هي "التشظي" كما يسميها"سعيد علوش"، وتعني أن النص لا يصبح ملكا للكاتب ولا تعبيرا عن أفكاره، بل عن أفكار متابعيه وقرائه أيضا وهو ما يقربه من التعبير عن مفهوم التشظي، وقد أخذ هذا المفهوم عن "جان كلود شيرولي"، حيث يرى "سعيد علوش" أن "شيرولي"« **يخلص...إلى رمزية فضاء التشظي في العمل الفني، ويتوسع في ذلك إلى الموسيقى والأدب، مدققا ومعبرا أن تشظيهما ليس مجرد تشديد على مفهومين مجردين، بقدر ماهو وقائع تجريبية** »[14]. حيث يكتب الكاتب نصه ويدفع به في إحدى المواقع الالكترونية ليأتي دور القراء ويحدثوا التفاعل المطلوب من خلال التعليق على أفكاره أو أسلوبه وإبداء الرأي فيما يتعلق به، وهو يُظهر دور القراء وتدخلهم في إنتاج النص، وفي شكل آخر من الأدب التفاعلي فقد يبدأ الكاتب نصه ويدفع به إلى موقع إلكتروني أو صفحة خاصة على الشبكة على أن يقوم القارئ بإكمال كتابته وهما شكلان من أشكال الأدب التفاعلي، وفي كلا الشكلين يظهر أن النص لم يعد ملكا لكاتبه ولا من إنتاجه، بل يصبح النص من إنتاج جماعي، الأمر الذي يمنحه سمة التشظي أو الأثر المفتوح الذي تحدث عنه الكثير من النقاد ومنظرو الأدب دون أن يشير إلى الأدب التفاعلي الذي لم يكن قد ظهر بعد أثناء ذلك .

[13]- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 270

[14]- سعيد علوش، تنظير النظرية الأدبية؛ من الوضعية الى الرقمية، ص 167

1- الأدب التفاعلي في الثقافة العربية

إن الحديث عن المجال الرقمي بكل ما يحمله من مفاهيم في العالم العربي يفرض علينا التساؤل أولا عن مدى التقدم في هذا المجال في العالم العربي، بالنسبة للكتابة والنقد على السواء، حيث نجد القليل من التجارب في هذا المجال، حيث «**إن الأدب العربي المقدم من خلال العالم الافتراضي وشبكة الإنترنت لا يمثل، في معظمه، سوى نسخة إلكترونية للنسخة الورقية، أي أن الأديب العربي إن تعامل مع شبكة الإنترنت...فإنه لا يطمح إلى أكثر من نشر أدبه إلكترونيا لإيصاله إلى جمهور أكبر من القراء، دون أن يفكر في استثمار الإمكانات والخصائص التي تتيحها التقنية الحديثة لتقديم نص متواكب مع العصر الذي يعيش فيه، ومعبّر عنه**»[15]. فأكثر ما يوجد في الشبكة العنكبوتية هو الكتاب الإلكتروني والذي هو صورة للكتاب الورقي يسمح للقراء والباحثين أن يحصلوا على مؤلفات لم يتمكنوا من الحصول عليها ورقيا ، بينما نرى غيابا في مجال الكتابة التفاعلية التي تمكن القارئ من المشاركة في إكمال النصوص الأدبية التي يطرحها مؤلفوها على الشبكة .

وبغض النظر عن أن هذا المجال أصبح شائعا في الغرب وأوروبا عموما، وذلك منذ عقود عديدة، فإن الأمر فيما يتعلق بالثقافة العربية ما يزال في بداياته حيث نجد أنه لم يفرض نفسه بعد، بل يوجد بطريقة محتشمة، حيث - وبخلاف ما حصل ويحصل في الغرب- «**تحتل لفظة التفاعلية interactivity موقعا مناسبا في الثقافة الغربية، الورقية والالكترونية، جعلت منها مصطلحا قائما بذاته ولكنها في نفس الوقت تكاد تكون لفظة مغمورة غير مستخدمة في الثقافة العربية، إلا في نطاق محدود في أوساط المتخصصين في النقد الأدبي، ممن لهم دراية بالنظريات الحديثة المتجهة نحو القارئ، والتي ركزت على دوره التفاعلي**»[16]. حيث نجد القليل من التجارب في هذا

[15]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي ، ص 70

[16]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 55

المجال وذلك لعدة اعتبارات لعلّ أهمها اهتمام الكتاب والقراء على السواء بالكتاب الورقي وعدم قدرتهم على مسايرة التحولات المعاصرة وعدم قدرتهم على تجاوزه إلى مجالات عصرية فرضتها تحولات العالم المعاصر، ويمكن إجمال أسباب هذا الغياب إلى عدة اعتبارات حددتها "فاطمة البريكي" في «**عدم شيوع استخدام الإنترنت في البلدان العربية- طبيعة الحضور العربي على شبكة الإنترنت – نوعية المرغوب عربيا مما يقدم على الشبكة – متوسط سن المستخدمين العرب للشبكة – عزلة الأدب والأديب العربي عن محيطه**»[17]. فعدم مواكبة الثقافة العربية لهذه التحولات ترجع إلى التأخر الكبير في المجال الإلكتروني وقلة المقروئية لدى شرائح كبيرة من المجتمعات العربية وعدم الاهتمام بالكتاب سواء الورقي منه أو الإلكتروني، حيث يقتصر الاهتمام لدى قلة من الباحثين أو المحضرين لأطروحات أكاديمية فحسب، وهي كلها من سمات أغلبية المجتمعات العربية وهو ما انعكس سلبا على الاهتمام بالمجالات التفاعلية وخصوصا الأدب التفاعلي، وإنه «**ومع ذلك علينا الاعتراف بشرط التواصل الحر داخل عالم افتراضي، لكنه لم ينجح في ولادة أدب رقمي نضاهي به الأمم لأن النص الشعبي لا يحيل على أكثر من بدائية غير قادرة على تغيير راديكالي لتمثيلات المعنى والأشكال الموروثة**»[18]. ونتيجة لكل ذلك لا يمكننا الحديث عن أدب تفاعلي عربي بالمعنى الدقيق أو على الأقل بالمعنى الموجود في عدد من البلدان الأوروبية والغربية عموما .

ومن جهة ثانية فإن الكتابات النقدية للنقاد العرب المتابعة للأدب التفاعلي لا تزال بعيدة عن تناول الموضوع بالقدر الذي يمكن معه القول إنه في تطور ملحوظ، حيث يظهر اهتمام عدد قليل منهم دون أن تكون كتاباتهم تنظيرا بالمعنى الدقيق وإنما هي تسمه بطابع التأريخ للأدب الرقمي ومتابعة ما يوجد على الشبكة من نصوص تفاعلية وهي أساسا قليلة، أما عن أثرها على فعلي الكتابة والقراءة فلا يبدو أن الأدب التفاعلي بصفة عامة والرواية منه على

[17]- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 67 و 68 و69

[18]- سعيد علوش، تنظير النظرية الأدبية؛ من الوضعية إلى الرقمية، ص 376.

الخصوص لم يتمكن من تغيير عدد من المظاهر وعلى رأسها الأنساق الثقافية حيث «**صرنا نرى باستمرار أن المكتشفات المتجددة والمتطورة لا تفعل ما يكفي لتغيير الأنساق الثقافية، وصرنا نرى أن كل مكتشف علمي عظيم يتحول مباشرة لخدمة أغراض نسقية متجذرة، ويزيدها تجذرا** »[19]. فالأدب التفاعلي الذي بدأ يفرض نفسه في الواقع المعاصر وبالرغم من كل الأمور الإيجابية التي جاء بها إلا أنه ما يزال في بداياته الأولى بالنظر إلى أنه لم يتمكن من تغيير الكثير من الأمور ولم يطرق الكثير من القضايا التي هي محور البحوث المعاصرة، ومثلما يرى الغذامي فإن الأدب التفاعلي لم يتمكن من تحطيم الأنساق الثقافية المتراكمة في الثقافة .

مصادر البحث ومراجعه(المنهجية والمعرفية)

1- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب الطبعة الأولى 2006

2- سعيد علوش، تنظير النظرية الأدبية؛ من الوضعية الى الرقمية، مطبعة البيضاوي الرباط الطبعة الأولى 2013

3- نصر حامد أيو زيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي الطبعة السادسة. 2001

4- تزيفيطان طودوروف، الأدب في خطر، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، الطبعة الأولى، 2007

5- آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة عبد السلام الطويل، مراجعة ، محمد سبيلا، أفريقيا الشرق، المغرب 2010

6- آلن هاو، النظرية النقدية؛ مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010

[19]- محمد عبد الله الغذامي، تقديم، في فاطمة البريكي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص7

7- بيار ماشيري، بم يفكر الأدب؟ تطبيقات في الفلسفة الأدبية، ترجمة جوزيف شريم، مراجعة بسام بركة، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، الطبعة الأولى 2009

8- بشرى موسى صالح، نظرية التلقي؛ أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب،الطبعة الأولى، 2001

9- جوناتان كوللر، ما النظرية الأدبية؟، ترجمة هدى الكيلاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الترجمة رقم 3 ، 2009

10-خالد محمد البغدادي، اتجاهات النقد في فنون ما بعد الحداثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، الطبعة الأولى، 2007

11-ديفيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة باسل المسالمة، دار التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق الطبعة الأولى، 2010

12-رامان سيلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998

13-محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي عربي، مكتبة لبنان ناشرون، والشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى، 1996

14-مجموعة من المؤلفين، آفاق النظرية الأدبية المعاصرة، بينوية أم بينويات؟ المؤسَّسة العربية الدراسات والنشر، بيروت الطبعة الأولى، 2007

15-ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي؛ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصر، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2002

16-يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمن للنشر والتوزيع. القاهرة، الطبعة الأولى ، 1994